نحو منهج أمثل لترجمة معاني القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور / غالب بن محمد الحامضي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى
ورئيس قسم الكتاب والسنة ـ بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله الأمين ، وعلى آله الطاهرين وصحبه الصادقين .

أولاً : مشكلة البحث :

نزول القرآن باللغة العربية التي تميزت بين سائر لغات البشر بوفرة مفرداتها ، ودقة تراكيبها ، ومرونة أسلوبها ، مما جعل معاني هذا الكتاب لا تنقضي وأسراره لا تنتهي . فكيف نأخذ خلاصة ما فهمه واستنبطه العلماء من معانيه وأسراره، ثم ترجمته إلى اللغات الأخرى مع فيها من تباين ، بما يوصل إليهم هدايته ، ويظهر لهم إعجازه ، ويلبي حاجتهم بصورة مثلى ، هذه هي المشكلة التي تواجه علماء الأمة وتسعى الدراسة لتقديم إضاءات في هذا الباب المهم .

ثانياً : أهداف البحث :

1. إبراز خصائص القرآن من خلال اللسان الذي نزل به .
2. بيان أهمية الترجمة ودورها في النهوض بالأمة .
3. بيان المنهج الأمثل للترجمة .

ثالثاً : هيكل البحث :

قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة . جاء الكلام في :

المبحث الأول عن: خصائص القرآن من خلال لسانه ، وأهمية الترجمة ودورها في النهوض بالأمة.

والمبحث الثاني عن: تصور لمنهج أمثل لترجمة القرآن الكريم .

وشملت الخاتمة : أهم النتائج والتوصيات .

المطلب الأول : خصوصية لغة القرآن :

تظهر خصوصية اللغة العربية , ومكانتها وأهميتها من عدة جوانب من ذلك :

1ـ اختيارها من بين سائر لغات البشر وألسنتهم لينزل الله عليها كتابه الخاتم الخالد الموجه للناس كافة على اختلاف ألسنتهم , وتباين لغاتهم ؛ يدل على تميزها وامتيازها بميزات خاصة , خاصة وهو قد جاء بهذا اللسان مبيناً من جهة , ومعجزاً في نظمه , وبلاغته من جهة أخرى .

2ـ أن من استقام لسانه بالعربية استقام بكل لغة أو لسان آخر : وكذلك بين العلماء أن من خصوصية لغة القرآن " أن من استقام لسانه بالعربية استقام بكل لغة أو لسان آخر ولا العكس , أي أن من نشأ على العربية ورضع لبانها , وتفتق لسانه بحروفها وكلماتها وتراكيبها ؛ بمعنى أن هذه الحروف والكلمات والتراكيب كانت هي السابقة إلى لسانه وشفتيه نشأة وتعليماً ؛ فإن في وسعه أن يتقن في المستقبل في سن الحداثة أو الصبا , أو في سن المراهقة والبلوغ ..وربما بعد ذلك أيضاً , أي لغة أخرى , وسوف يبلغ بهذه اللغة . مع إجادة التعليم والتعلم . مبلغ أهلها من الإبانة والنطق ؛ بحيث يصعب فصله عنهم أو تمييزه من بينهم من خلال الحديث والكلام , ولكن العكس غير صحيح في سائر الألسنة واللغات , ولسوف يبقى في لسان من نشأ على غير العربية بقية من لكنة تحول بينه وبين إجادة نطق جميع حروف العربية وكلماتها وعباراتها " [1] .

---

(1) علوم القرآن وإعجازه ص14 .

ويرجع العقاد سبب ذلك إلى حسن استخدام اللغة العربية لجميع مخارج الحروف حيث يقول : " إن جهاز النطق الإنساني أداة موسيقية وافية لم تحسن استخدامها على أوفاها أمة من الأمم القديمة أو الحديثة كما استخدمتها الأمة العربية ؛ لأنَّها انتفعت بجميع مخارجها الصوتية في تقسيم حروفها , ولم تهمل بعضها , وتكرر بعضها الآخر بالتخفيف تارة , والتثقيل تارة ؛ كما فعل المتكلمون بسائر اللغات المعروفة"[2].

إضافة إلى تميز اللغة العربية بحروف لا توجد في اللغات الأخرى كالضاد والظاء والعين والقاف والحاء والطاء , أو توجد في غيرها أحياناً ولكنها ملتبسة مترددة لا تضبط بعلامة واحدة [3] .

3ـ وفرة مفردات اللغة العربية من حيث الأصالة , أو الاشتقاق مع فصاحة في الألفاظ , وبلاغة ساحرة في التركيب , ومرونة فائقة في الأسلوب مما جعلها حية قوية مستمرة بصورة لا تتوفر في لغة أخرى, فمثلاً: يمكن أن تفرع من "نظر" ينظر, وانظر , وناظر , ومنظور , ونظير , ونظائر , ونظارة , ومناظرة , ومنظار, ومنظر, ومنتظر[4] , تتنوع المعاني على حسب تنوع أوزان الكلمة , ولذا لا يمكن أن تجد في لغة أخرى القدرة على الإبانة , والتفنن في إخراج المعاني الوافرة الدقيقة كما في اللغة العربية , فهي أوفر اللغات من حيث المفردات , وأحكمها من حيث التراكيب , وأوسعها من حيث الأسلوب , ولذا أنزل الله تعالى كتابه المجيد بهذا اللسان المبين المتميز في حروفه , ومفرداته , وتراكيبه , وأسلوبه بصورة لا تتوفر في لسان آخر ؛ مما جعل معانيه لا تنقضي , وأسراره لا تنتهي , وعجائبه لا تفنى , فلا يشبع منه العلماء ولا يخلق من

---

(2) اللغة الشاعرة للعقاد ص11 .

(3) المحرر الوجيز 7/ 431 , ذكره ابن عطية في تفسير أول سورة يوسف الآية (1) .

(4) انظر : علوم القرآن ص18 , والواضح في علوم القرآن ص257 .

كثرة الرد ؛ ثم يؤخذ مما اصطفاه العلماء فيترجم إلى ألسنة الناس جميعاً , بصورة تمتع الجميع بما وصلت إليه طاقاتهم من فهمه في كل زمان , وتجمع قلوبهم على لفظه العربي الواحد التي ترجع إليها جميع ألسنة الناس . ومن هنا تظهر أهمية الترجمة وخطورتها.

المطلب الثاني : خصائص القرآن من خلال اللسان الذي نزل به :

قد تميز القرآن الكريم من خلال لسانه العربي المبين بخصائص دقيقة أبرزها ما يلي :

1/ آية النبي ρ ومعجزته الكبرى الدالة على صدقه عبر الزمان , ومع تقلب الليل والنهار ؛ كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ عَنْ النَّبِيِّ ρ قَالَ: (مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنْ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ أَوْ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ , فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[5] ، وقد تحداهم على مراتب مختلفة أن يأتوا بمثله , أو بعشر سور مثله , أو بسورة من مثله فعجزوا , وظل هذا العجز باقي , ومع أن أقوال العلماء في أوجه إعجازه تعددت ؛ لكنهم اتفقوا على أن من أعظم أوجه إعجازه ألفاظه الفصيحة , وتراكيبه البليغة , وأسلوبه الفريد الذي انتظم من خلال لغته العربية التي نزل بها .

2/ كتاب هداية للناس يهتدون بسائر معانيه عقيدة, وشريعة, وأخلاق, بما دل عليه نصوصه الظاهرة , أو معانيه الدقيقة المستنبطة, أو المعنى الأصلي والمعنى التبعي كقوله تعالى: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ (النحل:43) المعنى الظاهر الأصلي وجوب سؤال أهل الذكر , والمعنى المستنبط التابع وجوب إيجاد أهل الذكر .

وكقوله: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ (الإسراء:23) المعنى الظاهر تحريم التأفف , والمعنى المستنبط تحريم الضرب من باب أولى , وكقوله تعالى: ﭽ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ (البقرة:187) ، تدل بنصها الظاهر على جواز الأكل , والشرب , والجماع إلى الفجر , وتدل استنباطاً على جواز الإصباح للصائم جنباً , وكقوله تعالى : ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ (آل

---

[5] رواه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي ρ بعثت ح رقم 6732، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا ρ ح رقم 217 .

عمران:159) تدل بظاهر على وجوب الشورى ، واستنباطاً تدل على إيجاد الجماعة التي تشاور, وهذا هو الذي جعل القرآن الكريم محل نظر العلماء, واجتهاداتهم المتصلة وتدبرهم المستمر ،كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ(ص:29) ومن خلاله يظهر فضل العلماء, ومكانتهم, وكما يظهر كذلك سعة علوم القرآن الكريم ؛ التي ظلت وستظل تمتع العقول أبداً ؛ لأنه لا يوجد كلام في الدنيا بلغ من حسنه, وبلاغته, ودقته, وإحكامه ما بلغه هذا الكتاب المجيد, الذي أخضع عقول البلغاء , وحطم كبرياء الشعراء , وسجلوا عبر التاريخ عجزهم , وانبهارهم من فصاحة ألفاظه ، وبلاغة جمله , وروعة أسلوبه , وكمال بيانه الميسر في جمله , وأمثاله الدقيقة في معانيه , وأحكامه .

3/ تلاوته بحروفه العربية المنزلة , وبنظمه المحكم الذي جاء من خلال آياته وسوره عبادة أمر الله بها, وحث عليها وبين فضلها، كما قال تعالى: ﭽ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ(فاطر:29) , ويؤجر عليها العبد حتى ولم يدرك فهمها؛ بالحرف عشر حسنات ، وإن أدرك الفهم ؛ كان ثواب التلاوة أعظم , وهذا ما جعل الأمة كلها له تالية ترجوا ثواب التلاوة , وانتشر القراء والحفاظ له في كل بقعة من الدنيا .

ولو كان الأمر مشروط بالفهم لقل الإقبال عليه , والتعلم له , ولكن في التحفيز على كثرة تلاوته دفع لهم للارتباط به , والتدبر له , والتأثر ببركته , فإن قراءته من أعظم ذكر الله الذي يجلي القلوب , ويبعد وساوس الوسواس الخناس , وإن استمع لمن يفسر له ما يقرأ , أو يحفظ تبقى معانيه بعد ذلك في قلبه راسخة .

4/ تحقق الشفاء من خلال تلاوته من خلال نظمه الذي نزل به من عند الله ، كما قال تعالى : ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ(يونس:57) ، وقال تعالى : ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ(الإسراء:82) ، ومسألة التداوي بالقرآن من الأمور التي ليست محل خلاف بين العلماء ، ولم يقل أحد أن قراءة غيره من ترجمة , وتفسير معانيه فيها شفاء .

ومن هنا كان حكم الترجمة الحرفية التي عرفت بأنها: "وضع لفظ مكان لفظ آخر من لغة أخرى ؛ مع مراعاة الموافقة في النظم والترتيب ؛ مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده" , والمراد بها هنا "نقل القرآن الكريم بكل ألفاظه , ومعانيه , وخصائصه , من لغته العربية إلى لغة أخرى" وهي في هذا التعريف تخلاف الترجمة التفسيرية ؛ التي يعمد فيه إلى نقل معاني القرآن إلى لغة أخرى, فهذه الترجمة أجمع العلماء على مر العصور على استحالتها, وذلك لأنها متضمن محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه ؛ مع الاحتفاظ بدلالاته القريبة , والبعيدة , والأصلية , والتبعية , وسائر ما يمتاز به من إيقاع وتأثير[6] وذلك لما يلي :

أ/ لأن الترجمة الحرفية لا يمكن أن تقع أساساً لا في الشعر , ولا في النثر من كلام البشر , وفي جميع اللغات , فكيف بها في كلام الله الذي بلغ من البيان أعلاه, ومن اللسان أكمله وأعذبه ؛ بصورة يعجز البشر أن يأتوا بمثله من لغته ؛ دعك عن لغة غيره ؛ وذلك : "لأن الخصائص البلاغية في أحد اللسانين غير الخصائص البلاغية في اللسان الآخر, ويوجد منها في أحدهما ما لا يوجد في الآخر , فيتعين التفاضل, ويتعذر التماثل قطعاً . ولهذا يصرح كثير من المتمكنين في اللغات بأن ترجمة النصوص الأدبية في أية لغة ترجمة دقيقة أمر مستحيل , وأن ما يتداوله الناس مما يزعمونه ترجمات لبعض كتب أدبية فهو مبني على ضرب من التسامح في نقل معنى الأصل وأغراضه بالتقريب ؛ لا بالتحقيق"[7] . فهنالك اختلاف كبير بين اللغات من حيث الضمائر, وتوفر المفردات المتقابلة , أو المتساوية , وترتيب الجمل, وخصائص الأسلوب .

ب/ أن القرآن كلام الله المعجز لا يمكن الإتيان بمثله , أو بعشر سور من مثله , أو سورة من مثله فيما سواه من كلام البشر , ولو كان عربياً فضلاً عن الإتيان بمثله من كلام الأعجمي , وقد جاء هذا التحدي صريحاً للعرب أهل الفصاحة , والبلاغة , فعجزوا عن الإتيان بمثله , ولو بأقصر سورة منه , كما قال تعالى: ﭽ ۋ ۋ ې ې ۍ ۍ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □

[6] انظر : علوم القرآن د. عبد الله زرزور ص382 .

[7] مناهل العرفان 156/2 .

□ □ □ □ ﭼ(البقرة :23) , وإذا كان الخلق كلهم عاجزون من الإتيان بمثله من لغته التي نزل عليها من باب أولى الإتيان بمثله بغير لغته كما قال تعالى : ﭼ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﯦ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ (فصلت:44) .

ج/ أن الترجمة الحرفية لابد فيها من مراعاة صورة الأصل في لفظه , ونظمه ؛ مع الوفاء بكامل معانيه , ومقاصده , فإن الإحاطة بكامل معاني القرآن , ومقاصده أمراً مستحيلاً , ولا يمكن لأحد أن يحيط بكل دلالات القرآن , ومعانيه الأصلية والتبعية , ودقائق نظمه , وترتيبه , فضلاً على أنه لا توجد لغة في الدنيا تحمل من الخصائص ما تحمله لغة القرآن الكريم ؛ وذلك لأننا إذا أردنا ترجمة حرفية لكلام لابد بعد الإحاطة بدقائقه وأسراره مع توفر أمرين: "وجود مفردات في لغة الترجمة مساوية لمفردات القرآن , ووجود ضمائر وروابط في لغة الترجمة مساوية لروابط القرآن ؛ حتى يمكن أن يحل كل مفرد من الترجمة محل نظيره من الأصل , كما هو المشروط في الترجمة الحرفية وهذا ـ لعمر الله ـ مما يزيد التعذر استفحالاً , والاستحالة إيغالاً " (8) .

المطلب الثالث : أهمية الترجمة التفسيرية ودورها في النهوض بالأمة :

موضوع الترجمة التفسيرية من المواضيع المهمة والدقيقة التي اعتنى بها علماء الأمة قديماً وحديثاً ؛ وذلك لأهمية الموضوع وخطورته ، أهميته من حيث الحاجة الماسة والمستمرة لتبليغ رسالة القرآن للناس كافة تحقيقاً لقوله تعالى : ﭼ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ(الأنعام:19) ، وقال تعالى : ﭼ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ(الفرقان:1) , وقال تعالى : ﭼ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ(البقرة:143) ، فالواجب على من عرفوا لغة القرآن أن يبلغوا رسالة القرآن للناس كافة على اختلاف ألسنتهم وألوانهم في شتى بقاع الأرض , ولا يتم ذلك إلا بمعرفة لغات تلك الأقوام ثم حمل رسالة الإسلام إليهم .

(8) مناهل العرفان 2/ 157 ، 158 .

وخطورة هذا الموضوع إذ هو باب يمكن أن يدخل بسببه أعداء الدين فيحرفوا معاني القرآن ويبدلوها , وقد حدث ذلك من خلال ترجمات كثيرة قام بها عدد من أصحاب المقاصد السيئة التي قصدوا من وراء عملهم تشويه صورة الإسلام ووقف مده , وقد حدث هذا من خلال أول ترجمة إلى اللغة اللاتينية ـ لغة العلم في أوربا ـ وذلك سنة 1143هـ التي تمت على يد روبرت الكيتوني القسيس الإنجليزي الأصل التي أضاف إليها مع الترجمة هجوم وقدح في الإسلام , والقرآن ، وفي شخص النبي ρ الكريم ؛ بهدف تحصين تلك الشعوب النصرانية وغيرها ضد الإسلام , وقد بقيت آثار هذه الترجمة إلى وقت قريب في أوربا , إضافة إلى الترجمة اللاتينية الثانية عام 1721هـ التي قام بها لودفيج ماراتشي التي هي أشد انحرافاً, وأقبح تحريفاً , وهي للأسف المصدر المباشر لمعظم الترجمات الأوربية حتى وقت قريب , وقد بلغت الترجمات الكاملة للقرآن الكريم في اللغات الأوربية مع طبعاتها المتعددة 671 "إحدى وسبعين وست مائة ترجمة وطبعة" وبلغت الترجمات الجزئية والمختارة (245) "خمساً وأربعين ومئتي ترجمة في اثنتين وعشرين لغة" وذلك حتى عام 1980م , والمؤسف حقاً أن الترجمات التي قام بها مسلمون من هذه الترجمات الكثيرة تعد على الأصابع" (9) , وتظهر أهمية هذه الترجمة من عدة جوانب من أبرزها :

1/ تبليغ رسالة القرآن الكريم العالمية للناس جميعاً , خاصة غير العرب ؛ لأنَّ القرآن الكريم أنزله الله بلسان عربي مبين للناس جميعاً , قال تعالى : ﭽﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ(الفرقان:1) ولا سبيل لإيصاله للناس , وتبليغه إليهم إلا من خلال ترجمة معانيه إلى تلك اللغات المتنوعة , وهذا من أعظم واجبات الأمة خاصة في هذا العصر الذي سهل فيه الاتصال بين الأجناس , وانتشر تعلم اللغات , وسهل فيه وسائل التعليم والاتصال ؛ حتى يزداد المؤمنين منهم إيماناً , ويشتد شوقهم إليه " فيهتدون بهديه ,

---

(9) انظر: مناهل العرفان 118/2, وعلوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه للدكتورعدنان محمد زرزور, ص379 .

ويغترفوا من بحره , ويستمعوا بما حواه من نبل في المقاصد , وقوة في الدلائل , وسموه في التعاليم ووضوح وعمق في العقائد , وطهر ورشد في العبادات , ودفع قويٍّ إلى مكارم الأخلاق , وردع زاجر عن الرذائل والآثام , وإصلاح معجز للفرد وللمجموع , واختيار لأحسن القصص , إخبار عن كثير من أنباء الغيب , وكشف عن معجزات أكرم الله بها رسوله وأمته , إلى غير ذلك مما من شأنه أن يسمو بالنفوس الإنسانية , ويملأ العالم حضارة صحيحة ومدنية " [10] , كما فيه إقامة حجة على المعاندين , وقطع لشبهاتهم , وأخذ بتلابيب قلوبهم إلى الإيمان بالله , وكتابه , ورسوله .

2/ تنقية الأفكار المنحرفة في وسط غير المسلمين التي انتشرت بينهم بسبب بعض الترجمات الخاطئة سواء كان ذلك في جوانب العقائد , أو العبادات , أو المعاملات , وأعظمها ما وصل إليهم عبر ترجمات قام بها بعض أعداء الإسلام بقصد صد الناس عن الدين , وتضليل المسلمين عن الإسلام الصحيح .

3/ الدفاع عن القرآن الكريم , وحمايته من أيدي العابثين به من خلال تحريف معانيه , وتشويه قيمه ؛ لأنَّ تقاعس علماء الأمة عن القيام بواجبهم يفتح الباب والمجال واسعاً لأعداء الدين لنشر أباطيلهم, وأفكارهم السقيمة , وعقائدهم المنحرفة من خلال بعض الترجمات التي يقومون بها ؛ وهي تكون سبباً لصد الكثيرين عن الإسلام , أو انحرافهم بعد الدخول فيه .

4/ تحبيب القرآن ولغته العربية لغير العرب من خلال تقريب معانيه إليهم مما يسهل عليهم فهم الإسلام بصورة صحيحة , وتصور مقاصده بصورة عميقة , والالتزام به , ونشر فضائله بقوة وعزيمة , وإزالة تلك الحواجز النفسية برفع الحرج والمشقة عن

---

(10) مناهل العرفان 148/2 .

المسلمين من غير العرب للتفقه في الدين والاهتداء بهديه , ومساعدتهم على نشر الإسلام , والدفاع عنه بين أقوامهم , خاصة وقد أصبحت الحاجة اليوم لمثل هذا العمل كبيرة بعد انفتاح شعوب العالم بأثره نحو الإسلام , والسعي لمعرفة تعاليمه بعد أن فشلت الأنظمة الرأسمالية والاشتراكية وغيرها في تحقيق سعادة الإنسان .

5/ فيها قطع الطريق أمام أعداء الأمة والدين ؛ الذين أدخلوا سمومهم من خلال الترجمات الكثيرة التي قام بها بعض القساوسة والمبشرين والمستشرقين قصدوا من خلالها القدح في الإسلام , وتحريف معانيه , والطعن في رسول الإسلام , وهو نوع من أعظم وأخطر الطرق التي حورب بها الإسلام .

6/ فيها توحيد للأمة المسلمة تحت لسان واحد من خلال صلاتهم وتلاوتهم للقرآن الكريم وفق اللسان الذي اختاره الله عز وجل لهم , وهو من أعظم عوامل قوتهم ووحدتهم ؛ لأن ذلك ييسر عليهم سبل التفاهم والتعاون بينهم بما يقوي شوكتهم , ويجمع كلمتهم , ويعلي مجدهم , خاصة وأن تمدد اللغة دائماً يكون مع تمدد رسالة القرآن الكريم , وأن هنالك قدر كبير بين أهل الإسلام في التفاهم من حيث اللغة كما هنالك دوافع قوية في نفس كل مسلم عربي , أو غير عربي لتعلم لغة كتاب الله المقدس ؛ وهذا مما جعل غير العرب أعلام في اللغة العربية وأئمة فيها , وإن الدوافع النفسية , والإيمانية هي من أهم المقومات في تعلم اللغات .

ومن هنا تظهر خطورة هذا الموضوع , وأهميته البالغة مما يوجب دراسة هذا الموضوع , وتأصيل المنهج الأمثل للترجمة تأصيلاً علمياً يحقق مصالح الأمة , ويقطع السبيل أمام أعدائها وهذا ما هدفنا إلى إبرازه وخدمته من خلال هذه الورقة .

المبحث الثاني
تصور لمنهج أمثل لترجمة القرآن الكريم

عرفت الترجمة التفسيرية بأنَّها: " شرح الكلام , وبيان معناه بلغة أخرى بدون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه" , وهذا النوع من الترجمة أجازه العلماء , وحفز عليه , وأكدوا على أهمية لما يتحقق من خلالها من مصالح عظيمة , وفوائد قيمة . قال الشيخ محمد شاكر : " إن أئمة الإسلام الذين أجمعوا على تحريم ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأعجمية لم يختلفوا في جواز تفسيره باللغات الأعجمية , كما أجازوا تفسيره باللغة العربية "[11] .

وقال السيد محمد رشيد رضا : " والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن , أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين , وحينئذٍ لا تكون هذه الترجمة هي للقرآن , وإنما هي فهم رجل للقرآن يخطئ في فهمه ويصيب " [12] .

وقال الزرقاني : " ولا ريب عندنا في أن تفسير القرآن بلسان أعجمي لمن لا يحسن العربية يجري في حكمه مجرى تفسيره بلسان عربي لمن يحسن العربية , فكلاهما عرض لما يفهمه المفسر من كتاب الله بلغة يفهمها مخاطبه , لا عرض لترجمة القرآن نفسه , وكلاهما حكاية لما يستطاع من المعاني والمقاصد , لا حكاية لجميع المقاصد "[13] , فهي لا تخرج من أسمها عن كونها تفسير للقرآن بلغة أخرى غير لغة القرآن الكريم , وحتى تكون هذه الترجمة مستوفية للغرض , محققة للمصالح التي قصدت من خلالها ,

---

[11] ترجمة المعاني القرآنية د. محمد أحمد السنباطي ص33 .

[12] ترجمة القرآن للسيد محمد رشيد رضا ص18 , نقلاً من كتاب علوم القرآن د. زرزور ص386 .

[13] مناهل العرفان 144/2 .

ومنع للمفاسد التي يمكن أن تنجم من خلالها ؛ وضع العلماء ضوابط ينبغي مراعاتها في أثناء القيام بها من أبرز ذلك ما يلي :

1/ أن تترجم المعاني الواضحة المحكمة الموافقة لأصول الشريعة , وقواعد اللغة المستمدة من القرآن , والسنة , وأقوال الصحابة , واجتهادات علماء الأمة الموفقة , فلابد من التأكد من صحة الكلام المترجم أولاً رواية ودراية .

2/ أن يكون المترجم عارفاً معرفة تامة بأوضاع اللغتين المترجم منها , والمترجم لها بأسرارهما , وخصائصهما , ودلالاتهما[14] , مع التزام الصدق والأمانة في النقل , بعيداً عن الهوى , والأغراض الخاصة . ويحبذ أن يتولى هذا العمل فريق من المختصين تحت إشراف جهة علمية عريقة ؛ لأن العمل الجماعي أكثر دقة , وانضباطاً , وكمالاً .

3/ كتابة النص القرآني كما أنزل باللسان العربي ، ثم يكتب التفسير العربي بجواره ، ثم ترجمته ؛ حتى لا يتوهم أحد أن هذه الترجمة التفسيرية هي ترجمة حرفية للقرآن , ويفهم الكل على أنها فقط ترجمة لذلك التفسير العربي .

4/ وفاء الترجمة التفسيرية بجميع معان الأصل, ومقاصد على وجه مطمئن .

5/ تسميته ترجمة تفسيرية للقرآن الكريم , ولا يجوز تسميته ترجمة القرآن الكريم ، ويبين ذلك بصورة واضحة في مقدمة الكتاب على أن هذا العمل هو ترجمة لمعاني القرآن الكريم حسب فهم , واستنباط العلماء , وليس ترجمة للقرآن[15] .

---

(14) إنما اشترط ذلك لأن الخطأ في الترجمة يحصل كثيراً بسبب الوضع أو الدلالة أو الأسلوب إذ في اللغة كثير من الألفاظ المشتركة التي تدل على معان متباينة .

(15) منهج الفرقان 77/1 , ومناهل العرفان 144/2 . 148 .

أهم النتائج :

1 ـ في نزول القرآن باللغة العربية من بين سائر لغات البشر وألسنتهم ؛ يدل على تميزها وامتيازها بميزات خاصة , من ذلك : أن من استقام لسانه بالعربية استقام بكل لغة أو لسان آخر ، وأن فيها من وفرة المفردات ، وفصاحة الألفاظ , ومرونة الأسلوب وبلاغة التركيب ما لا يتوفر في لغة أخرى ؛ مما جعل معاني القرآن لا تنقضي , وأسراره لا تنتهي , وعجائبه لا تفنى .

2 ـ تميز القرآن الكريم من خلال لسانه العربي المبين بخصائص عديدة من ذلك : أنه آية النبي ρ ومعجزته الكبرى الدالة على صدقه، التي عجزوا من الإتيان بمثله ، وهو يدل من خلال كلماته وتراكيبه الظاهرة , أو معانيه الدقيقة المستنبطة على الهدايات الربانية ، وأن تلاوته بحروفه العربية المنزلة , وبنظمه المحكم الذي جاء من خلال آياته وسوره عبادة أمر الله بها, وحث عليها ، وبين فضلها ، كما أن تحقق الشفاء به يكون من خلال تلاوته بلغته التي نزل بها من عند الله .

3 ـ الترجمة الحرفية التي عرفت بوضع لفظ مكان لفظ آخر من لغة أخرى ؛ مع مراعاة الموافقة في النظم والترتيب ؛ مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده , أجمع العلماء على مر العصور على استحالتها ؛ لأن الترجمة الحرفية لا يمكن أن تقع أساساً لا في الشعر , ولا في النثر من كلام البشر, وفي جميع اللغات , فكيف بها في كلام الله الذي بلغ من البيان أعلاه, ومن اللسان أكمله وأعذبه ؛ بصورة يعجز البشر أن يأتوا بمثله من لغته ؛ دعك عن لغة غيره؛ كما أن الإحاطة بكامل معاني القرآن , ومقاصده أمراً مستحيلاً , ولا يمكن لأحد أن يحيط بكل دلالات القرآن , ومعانيه الأصلية والتبعية , ودقائق

نظمه , وترتيبه , فضلاً على أنه لا توجد لغة في الدنيا تحمل من الخصائص ما تحمله لغة القرآن الكريم .

4 ـ الترجمة التفسيرية من المواضيع المهمة والدقيقة التي اعتنى بها علماء الأمة قديماً وحديثاً ؛ والحاجة إليها مستمرة لتبليغ رسالة القرآن للناس كافة ، خاصة غير العرب ؛ لأنَّ القرآن الكريم أنزله الله بلسان عربي مبين للناس جميعاً ، كما هي تسهم بتنقية الأفكار المنحرفة في وسط غير المسلمين التي انتشرت بينهم بسبب بعض الترجمات الخاطئة ، كما هي سبيل قوي للانتصار للقرآن الكريم , وحمايته من أيدي العابثين به من خلال تحريف معانيه , وتشويه قيمه ، وهي سبيل قوي لتوحيد للأمة المسلمة تحت لسان واحد من خلال صلاتهم وتلاوتهم للقرآن الكريم ، وفق اللسان الذي اختاره الله عز وجل لهم , وهو من أعظم عوامل قوتهم ووحدتهم .

5 ـ الترجمة لمعاني القرآن الكريم لا بد أن يراعى فيها : التأكد من صحة الكلام المترجم أولاً رواية ودراية ، وأن يكون المترجم عارفاً معرفة تامة بأوضاع اللغتين المترجم منها , والمترجم لها بأسرارهما , وخصائصهما , ودلالاتهما , مع التزام الصدق والأمانة في النقل , بعيداً عن الهوى , والأغراض الخاصة . ويحبذ أن يتولى هذا العمل فريق من المختصين تحت إشراف جهة علمية عريقة ؛ لأن العمل الجماعي أكثر دقة , وانضباطاً, وكمالاً ، كما ينبغي وفاء الترجمة التفسيرية بجميع معان الأصل, ومقاصد على وجه مطمئن ، وغيرها من ضوابط .